مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

وظيفية المجال العمومي في تنظيم المجال والمجتمع الحضريين

حالة ساحات مدينة مكناس

The functionalty of the public field in managing the urbanspace and society: The case of Meknes city.

حنين الهندي*

جامعة المولى إسماعيل مكناس (المغرب)، elhindy21@gmail.com

تاريخ ارسال المقال: 2021/02/08	تاريخ القبول: 2021/03/12	تاريخ النشر: 2021/03/15

* المؤلف المرسل

الملخص:

إن المتتبع لواقعنا الحضري يلحظ، بغير عناء، تدني حظوة المجال العمومي في سلم اهتمامات المدبر المجالي، وضعف قيمتها في تمثلات المستعمل. رغم أن هذه الفضاءات تشكل "عصب حياة المدينة، فعبره تتفاعل مختلف أنساقها، وفيه يمارس السكان معظم نشاطاتهم الخارجية"(كنكورة، م. الهندي، ح. 2020. ص 116). وهو ما يفيد جهلا أو تجاهلا لوظيفيتها الهيكلية في تنظيم المجال، وتجويد إطار حياة المجتمع. فلذلك كان تركيزنا ضمن هذا العمل على تأكيد أهمية وظيفتها، ومن جهة أخرى الاستدلال على ضعف تدبيرها وممارستها من خلال ساحات مدينة مكناس.

الكلمات المفاتيح:المجال؛ المجال العمومي؛ الساحات العمومية.

Abstract

Everyonefollowing the reality of oururban state will observe without discussion the decreasing state of the public field in the eyes of the field manager.In spite of the factthatspaces or public places represent the nerve of life in the city for throughits multiple and differentsystems of life interact, additionallythroughit people alsopractisemost of theiroutsideactivities, which signifies ignorance or indifferencetowardsits structural functionality.Therefore, our focus herewasmeant to stress the crucial place of itsfunctionality on the one hand, and on the other hand provingitsfragility in being able to manage it and makeit more or lesspracticalthrough the public places in the city of Meknes .

Keywords:sphere, public places, public spaces.

مقدمة:

إن العمارة – في مفهومها الأول والظاهر– بناءات مادية قائمة في الفراغ، بمايعنيأصالةالميدانعلى البنيان، فـ"الهدفالأساسيمنالعمارةهوتنظيموتصميمالفراغ" (عرفان،س. 1966. ص43). إذا كانت وحشة الأخير وقسوته جعلت الإنسان يتحوط بجدران، فإن رتابة ديمومة العمران، وإعاقته لحريته وحركته وتفاعلاته حتّمت عليه ما هو أصل، أي مجالات عمومية مفتوحة. فبقدر فرار الإنسان من وحشة الطبيعة بقدر شوقه إلى رحابتها ورونقها، وحاجته إلى وظيفيتها. من هنا تتضح أهمية هذه الفضاءات الحضرية.

فالمجالات العمومية –كفضاءات مفتوحة داخل المدن– هي أكبر من مجرد فراغات غير مبنية أو مجالات هامشية متبقية، إنها عنصر مهيكل للمجال الحضري ذات أدوار وظيفية نفسية وتنموية. ومن ثم فتأثير المجال العمومي على بنية المجال الحضري، وعلى اقتصاد المدينة وعلى مختلف الفئات والعلاقات، جعله بحق موضوعا جغرافيا خصبا، ومدخلا مهمّا لدراسة ومعالجة الظاهرة الحضرية ومشاكل المدينة المعاصرة.

لقد عرف هذا المجال تطورا عبر التاريخ، واختلافا بحسب الثقافات.. وقد أكدّت الدراسة التاريخية أن الساحات العمومية شكلت أهم تجسيد لفكرة المجال العمومي منذ العصور القديمة (الأكورا اليونانية، الفوروم

الرومانية، الرحبات بمركز المدينة الإسلامية...)، ولذلك جعلناها نموذجا تطبيقيا في دراسة المجال العمومي لمدينة مكناس.

إشكالية البحث:

في ظل تمرد العمران على التخطيط في مدن عالم ما بعد الثورة الصناعية، وفي مغرب الاستعمار وما بعده، أضحت المجالات العمومية سمة من سمات المجتمعات المتقدمة التي تعكس مستوى الرقي والرخاء الذي يعيشه ذلك المجتمع. وتُشكل الساحات العمومية مكونا هاما في نسق المجال العمومي، وعنصرا مهيكلا لمشهد المدينة.

إن الرصد التاريخي للدور المجتمعي الهام الذي لعبته الساحات الحضرية – ولن تزال- اجتماعيا، سياسيا، اقتصاديا وروحيا... يثبت بجلاء أنها أكبر من مجرد فراغ يتخلل البنيان. فالدارس لتاريخ مكناس يدرك – يقينا-أن ساحات المدينة نهضت – عبر التاريخ- بأدوار حاسمة في كثير من الظروف التي عاشتها المدينة، بشكل أقنع السلطان المولى إسماعيل[1] يقيم ساحات المدينة الشهيرة[2] على أنقاض بنيان من سبقوه.

لكن واقع النمو الحضري الذي شهدته هذه المدينة منذ بدايات المرحلة الاستعمارية، ورغم تأطير التعمير بها بوثائق للتهيئة منذ وقت مبكر، جعل أهم الساحات العمومية بالمدينة تعيش أزمة عجز كمي وتردّي نوعي ملحوظ.

فرضيات الدراسة:

- تشكل الساحات العمومية عنصرا مهيكلا في النسيج الحضري.
- لعبت ساحات مكناس – على مرّ التاريخ- وظائف عمرانية ومجتمعية هامة.
- تعيش ساحات المدينة عجزا كميا وتراجعا نوعيا بيّنا أفقدها رمزيتها وقوض وظيفيتها.

أهداف ومنهجية الدراسة:

لقد دفعنا البحث عن القيمة المتأصلة للساحات إلى رصد أدوارها عبر التاريخ، لذلك اعتمدنا المنهج التاريخي لكشف دورها الحضري عبر عصور مختلفة من تاريخ مدينة مكناس، وغيرها من الحضارات الشهيرة الساحات. كما أننا اعتمدنا على البحث الميداني المتجسد أساسا في عمل الاستبيان، حيث تم توزيع أكثر من 400 استبيان على ساكنة مدينة مكناس من أجل كشف تمثلاتهم وآرائهم حول ساحات المدينة، وحوالي 30 استبيان على جمعيات المدينة كمستعمل لهذه المجالات. ولتدقيق قراءة هذه الاستبيانات اخترنا من الناحية التقنية برنامج SPSS، ومن الناحية المنهجية اخترنا المنهج الوصفي التحليلي من أجل كشف وتفسير واقع الساحات بالمدينة.

مدخل مفاهيمي:

- **المجال**:يؤكد كثير من الجغرافيين بأن المجال ليس مجرد قطعة من سطح الأرض كما قد يتبادر للذهن،بل يشير إلى بنية علائقية وظيفية وتطورية (الأكحل،م. 2004. ص 109) فيما بين البشر، وبين هم وبين الطبيع من جهة ثانية. . تعكس نظامهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. فـ"البنية المجالية ليست سلبية بلفاعلة، وأن

تنظيم المجال يتغير بتغي رالزمن الاجتماعي" (الأكحل. نفسه)أي تبع التغير هذه النظم الاجتماعية المشكلة للمجال.

- **المجال العمومي**: تتجه أغلب التعاريف إلى اعتباره ذلكم الفضاء الحضري المفتوح؛ الذي يُحيل على كل من

الشوارع والحدائق ومناطق الترفيه والساحات وغيرها من الفضاءات الخارجية المملوكة والتي يديرها القطاع العام، في مقابل المجال الخاص المخصص للسكن والعمل (ستيفان تونيلا، 2010\ 2019). وهي الموجهة لاستعمال الجميع (الوافي، ع، ل. 2003. نقلا عن سابلي). أي للاستعمال العمومي المباشر والمهيأة لهذه الغاية ((الهيلوش، م. 2014. ص180).

- **الساحات العمومية**: بعد الاطلاع على عدة تعاريف أمكنني القول أن الساحة هي أحد أهم المجالات العمومية، باعتبارها فراغا ضمن النسيج الحضري. رغم تعدد وظائفها فهي تجتمع في خلق تجمع وتواصل وتبادل بين الساكنة لترويج قيم مادية أو رمزية، وتنشيط الحياة الحضرية. وقد تتحول بذلك إلى صورة تعكس رمزية وهوية المدينة عموما. وعليه فإن جودة تهيئتها وحسن تدبيرها واستعمالها، إنما هو تجويد لإطار الحياة والمشهد الحضريين، وحفاظ على هوية المدينة..

المبحث الأول:المركزية العمرانية والوظيفية للساحات الحضرية.

تعتبر الساحة أحد أهم المجالات العمومية، وعنصرا هاما من عناصر المدينة.. فأول من تجسدت فيه معاني المجال العمومي عبر التاريخ هو الساحة العمومية،حيث كانت الفضاء المركزي الذي تنبض فيه حياة المدينة، وتتجسد عليه مختلف أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية...

المطلب الأول: مركزية الساحة في التخطيط العمراني لمدن الحضارات القديمة.

لقد شكلت الساحة عبر التاريخ مركز المدينة وأسها العمراني والاجتماعي. ومن أهم الحضارات التي اشتهرت ساحاتها بدورها الحضري المركزي نجد الحضارات الإغريقية والرومانية والإسلامية.

الفرع الأول: الساحات الإغريقية (الأكورا– AGORA):

تميزت بلاد الإغريق قديما بوجدود عدة وحدات جيوسياسية مستقلة، متحالفة أحيانا ومتصارعة أخرى، مشكلة ما بات يعرف بـ دول – المدن. "وكان لا بد لقيام احدى هذه المدن من توفر شروط عدة يمكن حصرها فيما يلي: .... لكل مدينة سوق عام (الأغورا Agora) يجتمع فيه العامة" (عكاشة وآخرون. 1991. ص 96).

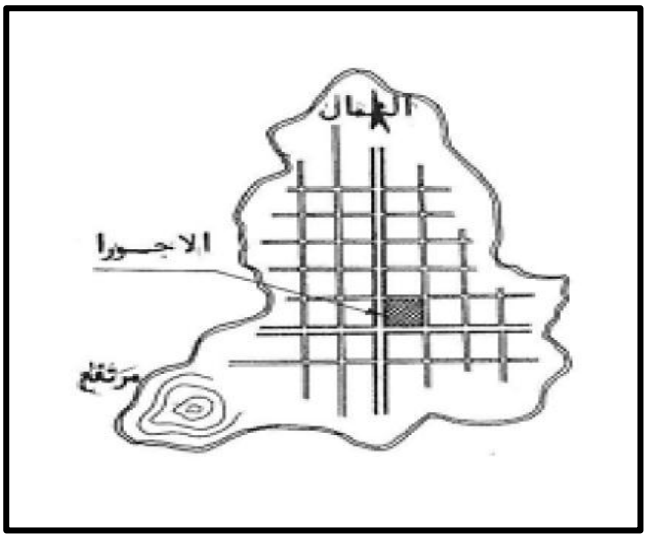

المصدر: أريج محمد تقرير الدراسات التاريخية للمدينة عبر العصورالمختلفة، والدراساتالخاصةبنظرياتتخطيطالمدنبالعصرالحديثص7

فالأغورامساحةمركزيةواسعةذاترمزيةمهمة،تتوسطالمبانيالإداريةوالتماثيلالتيترمزللشخصياتوالآلهة،وتلعبأدوارامختلفة ؛اقتصادية (التجارة)،اجتماعية،سياسية،وثقافية..

مخطط الأوغورا اليونانية

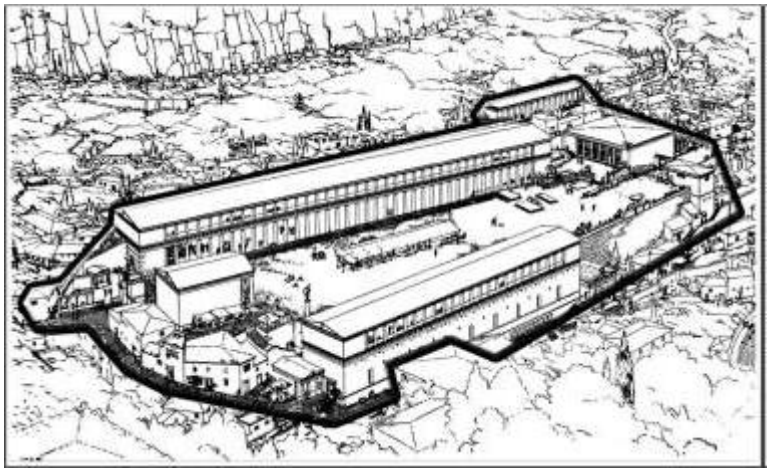

المصدر: **Leonardo Benevolo, Histoire de la ville, Edition: Parenthèse 1994, p8**

الفرع الثاني: الساحات الرومانية (الفوروم).

يشكل الفورم الروماني الوجه المقابل للأكورا عند اليونان. والذي يمثل ميدانا فسيحا وسط المدينة، محاط عادة بمعابد وأبنية رسمية خاصة بالأعمال الاقتصادية والقانونية والدينية. ومن أشهر هذه الميادين "فورومرومانيوم" Forum Romanium أقدم وأشهر هذه الميادين، وكذا "فوروم تراجان" Forum Trajan أكبر هذه الميادين وأذيعها صيتا (توفيق، أحمد. 2014. ص 459).

ينقل نفس مبادئ الأغورة اليونانية لكن في روما يظهر كساحة أكثر تخصصا وتكاملا (الوافي. 2003. ص21).

الفرع الثالث: ساحات المدن الإسلامية.

بخلاف ما ذهب إليه البعض فقد تجسدت ثنائية المجال العام والخاص في المدينة الإسلامية القديمة. ذلك أن التباين الحاد بين "المركز الذي كان مسرحا للأنشطة الاقتصادية المهمة، والذي يمكن وصفه بالمجال العام.. وبين المنطقة السكنية شبه الخالية من الأنشطة الاقتصادية التي يمكن وصفها بالمجال الخاص.. وذلكم التدرج من المركز إلى حدود المدينة من الأهم إلى الأقل أهمية". (الخضراء الجيوسي سلمى، وآخرون، 2014. ص994). لخير دليل على ذلك.

ومن نماذج المجالات العمومية الإسلامية، ما كن يقع في مركز المدينة من ساحات تجارية (رحبات) "يُمكن أن تركن فيها الحيوانات وتفتح عليها المتاجر المعدة لخزن البضائع وغرف التجار، الموزعة على مستويين في معظم الأحيان" (الخضراء الجيوسي سلمى، وآخرون، 2014. ص996). وقد كان يسمى مجموع ذلك الفضاء فندقا أو خانا أو وكالة أو قيسارية.. بحسب البقاع الإسلامية. صحيح أن هذا الفضاء يتطابق مع ما نسميه اليوم السوق، لكن وجب التأكيدأن "السوق –حينها– هو المكان العام الوحيد الذي يشبه الساحة" (A-Tzimopoulou, M. et auters . 2007. p3)

وكالة ذو الفقار في القاهرة

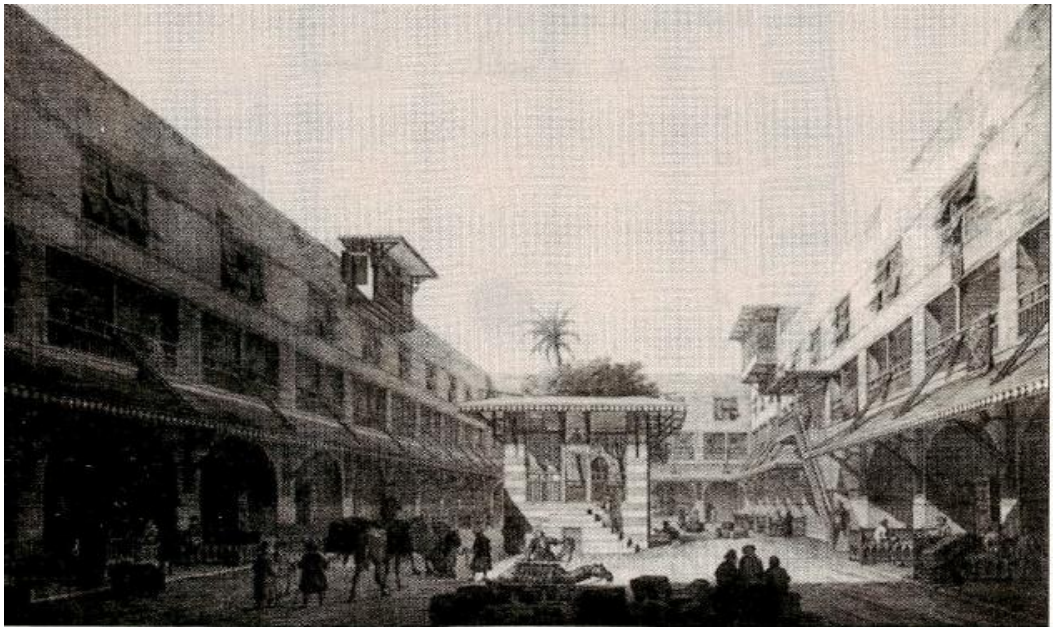

المصدر: **p.corte, Architecture Arabe,1893.**

وقد شكلت كثير من ساحات مدينة فاس نموذجا لهذه المجالات العمومية بالمدن الاسلامية، حيث "كانت الأسواق التي نشأت في هذه المنطقة المركزية –الإسلامية– أبنية مفتوحة في معظم الأحيان تحتل دكاكينها جزء من شارع أو مفرقا، أو ساحة في النادر من الحالات كما في حالة فاس، حيث تجار القماش المحلي كانوا يجتمعون في أربع ساحات صغيرة في سوق العطارين" (Le Tourneau, Roger.1949. p373).

ومن نماذج المجالات العمومية الإسلامية، ما كن يقع في مركز المدينة من ساحات تجارية "يُمكن أن تركن فيها الحيوانات وتفتح عليها المتاجر المعدة لخزن البضائع وغرف التجار، الموزعة على مستويين في معظم الأحيان" (الخضراء الجيوسي سلمى، وآخرون، 2014. ص996). وقد كان يسمى مجموع ذلك الفضاء فندقا أو خانا أو وكالة

أو قيسارية.. بحسب البقاع الإسلامية، فقد ظل "السوق هو المكان العام الوحيد الذي يشبه الساحة"(A-p3 .Tzimopoulou, M. et auters . 2007.

المطلب الثاني: الوظائف الهيكلية للساحات العمومية:

تقوم العمارة المتوازنة على مبادئ أهمها أن " تفي بحاجات الناس المادية والنفسية والروحية، الفردية والجماعية" (عرفان، س. 1966. ص1).إن كثير من هذه الحاجات لن تتحقق إلا في الفضاءات الحضرية الخارجية العمومية. فنجد الساحة –هنا– تنهض بدور حيوي، لما لها من وظائف متنوعة، نستطيع إجمالها فيما يلي:

- **الوظائف الاقتصادية.**

أول ما أسست الساحة قديما قامت على هذه الروح الاقتصادية، بدء بإحاطتها بمحلات تجارية (مثل ساحة الصفاة[3] بالكويت: الصورة أسفله)،كما تشكل الساحة اليوم مجالا لإقامة المعارض لمختلف المنتوجات المادية والرمزية (لوحات فنية، صور، منتوجات..)، ومن جهة أخرى تستقبل واجهات الساحة الكثير اللوحات الإشهارية الخاصة بمختلف المنتوجات. فأصبحت محركا للاقتصادي المحلي، ومساهما في إنتاج الثروة والقيم.

ساحة الصفاة بالكويت

- **الوظائف الاجتماعية:** يُشكل التفاعل الاجتماعي جزء مهما من كينونة الإنسان، لا يستطيع المسكن الوفاء به. فالعلاقات الاجتماعية التي تحتضنها المباني (المنازل، أماكن العمل، قاعات الرياضة، المقاهي..) تظل محدودة وتتسم بأنها أقل تحرّرا نظرا لما تخضع له من قوانين ضابطة تفرضها هذه الأماكن، فيما ترعى الساحات العمومية علاقات أكثر تحرّرا، ما يسمح بتكوين علاقات اجتماعية حقيقية ومرنة (الوافي. 2003 ص 67).

- **الوظائف النفسية:** "يكتسح زائر الساحة شعورا بالاهتزاز والسعادة العميقة نتيجة لذلك المظهر الفني الرائع والجميل، والذي تعكسه الأعمال المعمارية والعمرانية والفنية ذات الأشكال المتناغمة والألوان الرائعة والمواد المستعملة البراقة وكذا لوجود العناصر الطبيعية" (الوافي. 2003. ص 66

أشار سابلي أن أحاسيس وانفعالات الناس تتأثر بالفضاء الذي يوجد فيه، وأطلق على ذلك اسم "الحساسية الديناميكية (Sensibilité dynamique) (الوافي، ع، ل. 2003. ص 64). فقضاء وقت أكبر بين جدران البيت أو العمل وما يصحبه من جهد بدني أو عقلي وضغط نفسي، يجعل الساحة – كغيرها من الفضاءات المفتوحة التي تحرر البصر- تشكل بديلا لاسترجاع ذلك التوازن النفسي والتخلص من التعب النفسي والملل السابق.

- **التربية والتثقيف**:باعتبار الساحة فضاء لتوجيه السلوك وتهذيب الطبائع، فيتعزز الإيمان بالاختلاف ويتجسد

السلوك المدني المتحضر "فمشاهدة المشهد مع الحفاظ على الحكم الخاص بك هو واحد من الخصائص التي تجعل الفضاء العام "بيئة للتعلم الاجتماعي" وتدفع بوجه خاص الواحد إلى تصرف متحضر نحو التنوع" (ستيفان تونيلا، 2010\ 2019 ص 155). فلا ينزع الفرد إلى فرض تصوره رغم ما يشهد من تنوع لا ينسجم معه. فلا يتحقق فقط الاندماج الحضري – الذي يعتبر من أسس تطور أي تجمع سكني- بل يتعداه للتربية على هذا السلوك المديني المتحضر.

- **الوظائف الثقافية والرمزية**: إن ما تعرضه الساحة من منتوجات وحرف تقليدية فهي تساهم في حماية نمط عيش وذاكرة جماعية، وما تقدمه من أنشطة ثقافية (الحلقة نموذجا) فهي تذكر بقيم أجيال سابقة تعمل على ضمان استمراريتها.. مما يكَوِّن لدى الأفراد ثقافة عن ذاتهم الجماعية؛ عادات وتقاليد مجتمعهم وحرفه ومهنه، مما يعزز لديهم الشعور بالهوية المشتركة والانتماء للمدينة ... فالساحة العمومية "المكانة المميزة للحياة الاجتماعية و التعبير المكاني عن المواطنة"(A-Tzimopoulou, M, et autres. 2007p1) .

- **الوظائف السياسية**: تتمثل فيما تحتضنه من احتجاج واعتصام وتظاهر عام: فالساحة العمومية من أنسب الفضاءات لممارسة الحريات العامة (ركن في حديقة الهايد بارك بإنجلترا نموذجا)

لقد تبينت الرمزية التاريخية للساحة ضمن النسيج الحضري للمدن، وكذا قيمتها الوظيفية في تنظيم المجال والمجتمع الحضريين وإشباع حاجاتهم الأصيلة. فكيف تشكلت ساحات مدينة مكناس، وما هي وظيفتها في تنظيم المجال والمجتمع؟

المبحث الثاني: تشكل ساحات مكناس ودورها في تنظيم المجال والمجتمع.

صاحب تشكل ساحات مكناس التطور العمراني للمدينة ككل. في كل مرحلة وجدنا نوعا من الساحات، ذات وظيفة خاصة في تأطير المجال العمراني للمدينة وتنظيم المجتمع، بشكل يوافق الرهانات السياسية لكل مرحلة، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للساكنة. ولذلك سنرصد أول الامر السياقات التاريخية لتأسيس أهم ساحات المدينة (المطلب الأول)، ثم نكشف تطورها الوظيفي (المطلب الثاني).

المطلب الأول: مراحل التشكل العمراني لساحات مكناس.

في ظل غياب أي دراسة عمرانية/ تاريخية عن ساحات مكناس، فقد لجأنا إلى تعقب بعض الإشارات الواردة بدراسات التطور العمراني للمدينة ككل. فوجدنا أن الساحات لم تفارق مدينة مكناس عبر التاريخ، وهذا بيانه:

الفرع الأول: ساحات مكناس الوسيطية[4]

1- الساحات المرابطيةوالموحدية (منتصف القرن 11 إلى أواخر القرن 13).

لقد استجمعت المدينة مقومات التجمع الحضري خلال هذه المرحلة.وارتسمت الملامح العسكرية للمدينة أكثر خلال هذا العهد، لما كانت "آخر مدينة افتتحها الموحدون، وأن حصارها قد استغرق زمنا لم يتطلبه فتح مدينة أخرى" (حيمر. ص99. نقلا عن الحجوي الثعالبي. المناظر الجمالية.. ص 202). بعد هذا كله نتساءل هل تغيب الساحة عن مدينة عسكرية الملمح، حيث تتجمع الجيوش وتقام الاستعراضات والاستعدادات؟

بيد أن الساحات المرابطية كانت لها توظيفات عسكرية، تجارية، حرفية (ساحة البراذعيين)، واجتماعية كالأسواق (سوق النجارين نموذجا)، وأدوار تفاعلية بما تتيحه كل تلك الساحات من تبادلات حضرية بين الساكنة، بل ووظائف عمرانية أي كمجال للتوسع العمراني المستقبلي ...

وأكتفي ببعض الاستدلالات عن ذلك منها:

- لقد أكّدت المصادر وجود ساحات مرابطية ذات استعمالات تجارية تحت اسم الرحبة؛ حيث اتصلت

أحياء التوتة والكدية وظهر السجن وبرّاكة**برحبة الزرع** القديمة، هذه الرحبة التي وصفها حيمر بأنها تتمثل في ترك فضاء فارغ أمام البنايات، وحدّد موقعها بأنها تكون على أطراف المدينة. وقد اعتبر بن أبي زرع الرحبة ظاهرة لازمت جميع الحواضر المغربية (حيمر. ص 218).

- أكّدت المصادر توافق مكناس المرابطيةوالموحدية مع خصائص المدينة الإسلامية – خاصةالوسيطية- من أنه "قد تَشَكَّل – مجال مكناسة المرابطية- من مساحة مركزية تشمل مراكز السلطة والتجارة، ثم يأتي التخطيط للسكن، وهي تتسع انطلاقا من هذه النواة" (حيمر. ص194). فقد قسّم هذا النص المدينة إلى مجال خاص للسكن في الأطراف، ومجال عمومي هو المركز، يتوسطه المسجد ودار الإمارة والسوق، وقد كانت أغلب الأسواق عبارة عن باحات تعرض فيها السلع. وقد أكّد المنونيما نالته مدينة مكناس من اهتمام موحدي واتساع أسواقها حول المسجد الجامع (حيمر. ص 317).

2- ساحات مكناسالمرينية (منتصف القرن 13 إلى مطلع القرن 16م).

أولى المرينيون – إلى عهد اغتيال أبي عنان- عناية خاصة وفائقة لميدان البناء والتسيير الإداري والتجهيز الحضري للمدن المغربية (حيمر. 2004. ص 260). وقد نالت مكناس حظا وافيّا وفيرا من هذه العناية، خاصة وأنها شكلت عاصمة وصيفة لمدينة فاس عند المرينيين (كما سبق الاستدلال عليه).

ومن الإشارات التي أوردتها المصادر حول الساحات المرينية ما أورده القاضي الونشريسي من تضايق الحوانيت من التجارة المعروضة في فضاءات عامة، ذلك أن "أهل سوق من أسواق الزِّ منتصبون في حوانيت برسم

البيع من الناس وبعضهم يذهب لمنع تسويق السلع بينهم صدر النهار ووسطه ويحتجون أن ذلك يضرهم بسبب أن المشتري يُقلب السلعة في حوانيتهم قاصدا الاشتراء ويرى السلعة في المناداة أقل ثمنا من التي في الحوانيت، وأرخص منها فيترك الاشتراك منهم ويميل إلى سلعة المناداة، ويكلفون ألاّ تسوق السلعة إلا آخر النهار، وفي ذلك إضرار بالبائع لكونه قد يبيع سلعته ويريد أن يشتري بثمنها غيرها أو ما يأكل ويتعذر ذلك عليه آخر النهار" (الونشريسي. ج5. ص 197). ويُقصد هنا بالمناداة أو المنادي هو الدلال (شخص كان يعرض وينادي بالسلع مقابل أجر)، وقد " كان نشاط الدلال يتركز غالبا في الأسواق والشوارع **والرحبات أو الميادين**" (بلبشير، ع. 2010. ص 234).

وفي هذا النص إشارة صريحة لوجود الميادين والرحبات خلال هذه الحقبة، والتي كان دورا تجاريا رائدا.

الفرع الثاني: ساحات مكناس في العصر الحديث[5].

تتربع الحقبة الإسماعيلية (1672- 1727م) من تاريخ مكناس على هذا العصر، حيث حظيت (المدينة) بعناية عمرانيةللمولى إسماعيل قصد ترقيتها لمستوى عاصمة؛ "فكان همه الأول، توسيع القصبة المرينية القديمة وبناء قصر فيها، هو قصر الدار الكبيرة" (تر.ع.ل.ملين. مجلة دعوة الحق). ومن المعالم العمرانية الناتجة عن هذه التوسعة إحداث مجموعة من الساحات،أشهرها – اليوم- هي ساحة الهديم التي يعود أصل تسميتها إلى "الكلمة العربية "الحدم" التي تعني الركام. – حيث أن-العديد من المساكن والمنشآت التي يعود تاريخها إلى العصر المريني احتلت هذه المساحة حتى المكان الحالي للا عودة" IDPCM[6]، فقام المولى إسماعيل بهدم تلك المباني من أجل إحداث هذه الساحة و" كان الهدف خلق مساحة تفصل بين النسيج القديم ، أي المدينة القديمة والمدينة الإمبراطورية ، القصباء المحصنة"IDPCM . وإذا كانت هذه الساحة مفتوحة للعموم – فبالإضافة إلى احتضانها الاحتفالات العسكرية- ف"في الجزء الطولي الجنوبي الغربي تم بناء سوق الهديم ، السوق المركزي لمدينة مكناس القديمة. تفتح واجهة هذا السوق على الساحة مع المتاجر ، والعديد منها له طابع حرفية " IDPCM

ومن الساحات التي أحدثها المولى إسماعيل كذلك نجد"ساحة للاعودة" والتي بدورهاأقيمت على أنقاض مباني مرينيةبغية توسيع القصور السلطانية الإسماعيلية (الدار الكبيرة). غير أنها تختلف عن ساحة الهديم بأنها لم تكن مفتوحة للعموم، فقد خُصّصت للاستعراضات العسكرية والاحتفالات الأخرى التي حضرها السلطان ومسؤولوه، وكنت محظورة على عموم الناس[7].

الفرع الثالث: ساحات مكناس في الفترة الكلونيالية.

لقد حاول الاستعمار الفرنسي تجنب – ما أمكن- ذلك الاندماج السكني والاجتماعي بين الأهالي والمستوطنين الأوربيين، ما دفعه إلى إحداث أحياء عصرية حوت مجموعة من الساحات. لقد مكّننا تعقب هذه الأحياء الكلونيالية من إيجاد عدة ساحات أهمها:

- ساحة التجارة بروى مزيل.
- ساحة بويميرو[8] (حاليا ساحة عبد العزيز بن ادريس):

ساحة بويميرو

المصدر: مسترجعة من موقع www.delcampe.net

صورة تمثال بويميرو بساحة بويميرو

المصدر: مسترجعة من موقع www.delcampe.net

- ساحة فرنسا (الساحة الإدارية اليوم):

صورتي ساحة فرنسا (الساحة الإدارية اليوم)

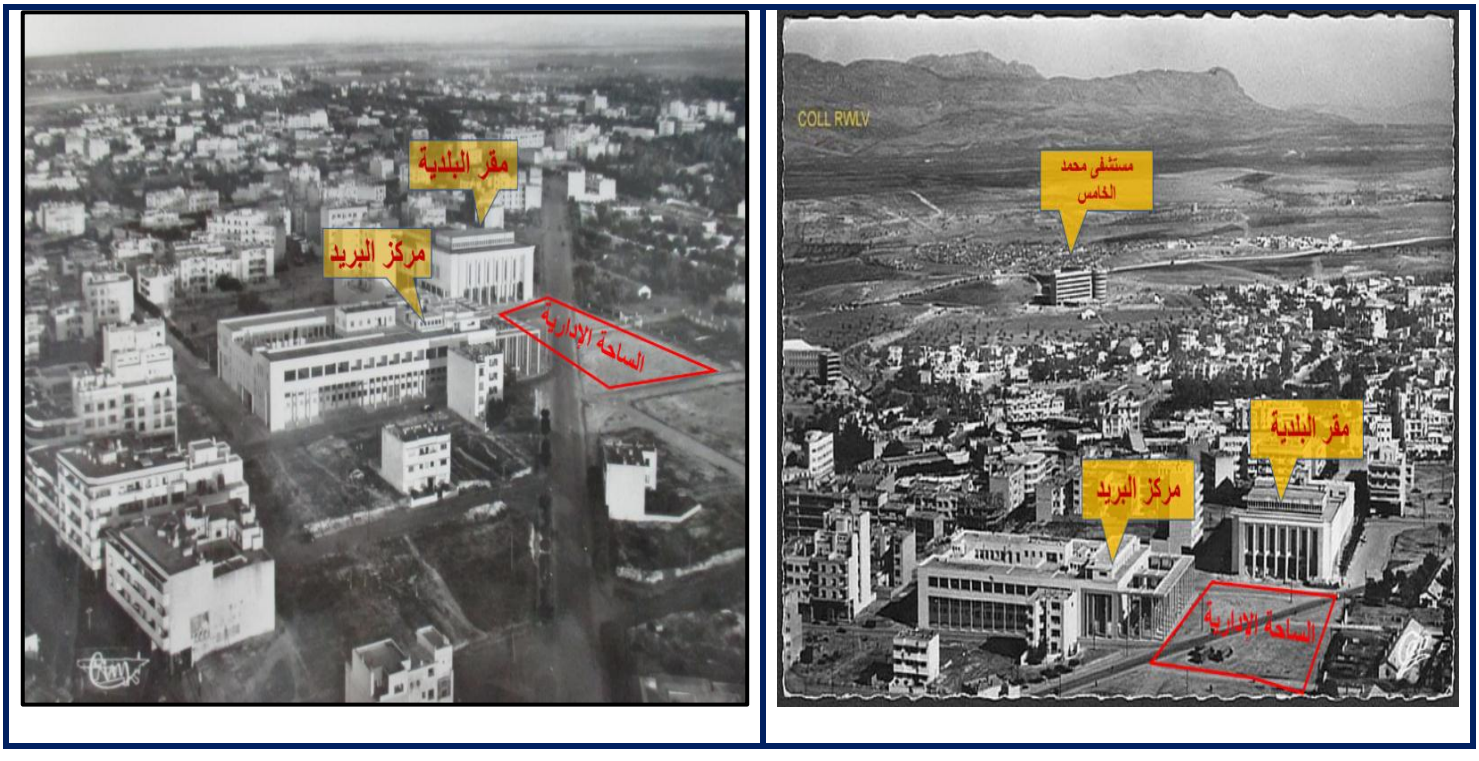

المصدر: مسترجعة من موقع www.delcampe.net

- ساحة الماريشال بيتان (ساحة موريتانيا):

صورة لساحة المارشال بيتان– أو ساحة الجنرال دوكول

المصدر: مسترجعة من موقع www.delcampe.net

صورة لتذكار الطبيب بولان على مشارف ساحة بيتان

تصوير شخصي يناير 2021

- ساحة الدكتور جيكيJiguet (ساحة الدكتور عبد الكريم الخطيب اليوم):
- **صورة ساحة الدكتور جيكيJiguet**

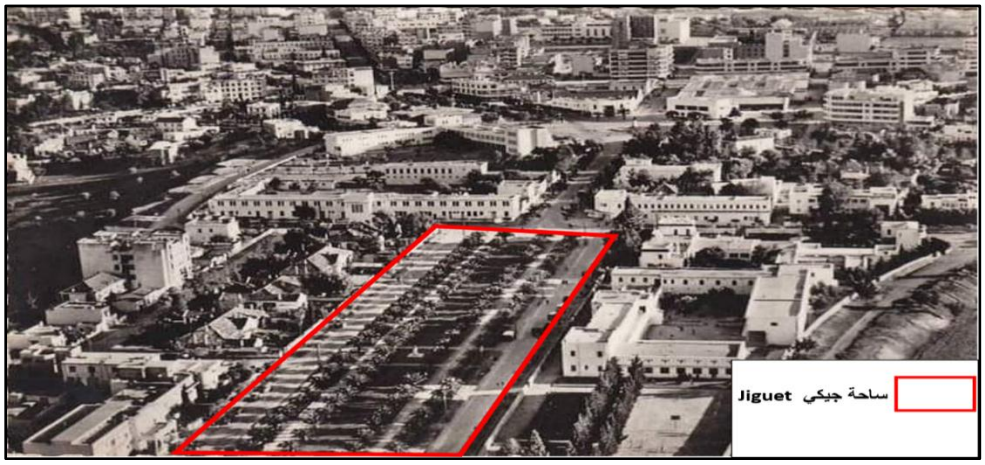

المصدر: مسترجعة من موقع www.delcampe.net

تضمنت تمثالا نصفيا للدتورجيكي الذي وضعه المقيم العام الفرنسي Nogues سنة 1942. (الصورة):

صورة التمثال النصفي للدكتور جيكي بساحة جيكي (ساحة الدكتور الخطيب حاليا)

المصدر: مسترجعة من موقع www.delcampe.net

من هنا نستخلص أهم الملامح العمرانية للساحات الكلونيالية بمكناس، التي اتسمت بمجاورتها لمرافق إدارية وخدمية كبرى، وكذا حِملها لتمثال شخصية فرنسية (عسكرية ومدنية) تأكيدا للتواجد الفرنس وإمعانا في فرض السلطة الفرنسية وشرعنة تواجدها عبد المدخل العمراني.

وعموما يمكن تلخيص أهم المبادئ التي حكمت إنتاج وتوظيف ساحات المدينة في مختلف العصور في ما يلي:

- لقد تأسست الساحات الإسلامية على مبدأين: البساطة والوظيفية، حيث كانت أي بقعة داخل النسيج الحضري ذات استغلال مكثف. ولذلك كانت ساحاتها أكثر حيوية وحركية. في حين اتجهت ساحات الحضارة المعاصرة إلى السكون ما أفقدها قيمتها. وهذا على حد تعبير الكتابات الغربية نفسها، التي أكدت أن عصر "السيارة" حوّل مجموعة من المجالات العمومية إلى فضاءات خافتة، وبالتالي " فقدت هذه المساحات هويتها لتصبح مجرد مساحات فارغة بين اثنين من المساحات المبنية" (CPCP. 2016).

- لقد وسّع المولى إسماعيل من عدد وحجم ساحات المدينة، في سياق الترقية السياسية لهذه الأخيرة، ومواجهة التحديات العسكرية للمرحلة، ما يؤكد أهمية الساحة في تنظيم وضبط المجال.

- يقوم النموذج العمراني الكولونيالي على سعة وتعدد الفضاءات الحضرية المفتوحة، بما يوافق نموذجا قيميا وتصورا معينا للحياتين العامة والخاصة. وأن استعراض هذا النموذج كان بغاية تقويض النموذج القيمي الإسلامي، وتأبيد رمزية السلطة الفرنسية وتأكيد وجودها.

المطلب الثاني: دور الساحات في تنظيم المجال والمجتمع الحضريين بمكناس.

لقد كشف لنا الرصد التاريخي لتطور عمران مكناس أن الساحات لم تفارق نسيجها الحضري، بما يكشف دورها الوظيفي الهام. والذي يؤكد هذه الأهمية إقدام الدولة في أحد فتراتها الانتقالية الحساسة سياسيا (الحقبة الإسماعيلية) على هدم مباني لتشييد ساحات على أنقاضها، في سياق ترقية المدينة عمرانيا لتكون عاصمة البلاد. وهو مؤشر دال على تجاوزوظيفية ساحات مكناس –أحيانا–المقياس الترابي المحلي والإقليمي إلى مقياس أوسع وطني ودولي.

ومن جهة أخرى فقد اختلف الدور الوظيفي للساحة في تنظيم المجال الحضري للمدينة من مرحلة لأخرى، بحسب الرهانات السياسية التي يمر بها البلد عموما، والظروف الاقتصادية والاجتماعية للساكنة المحلية.فلذلك، وبحسب الرهان التنظيمي للساحة يمكن الحديث عن ثلاث مراحل:

- ساحات مكناس الوسيطية: مركز التفاعل والاندماج الاجتماعي
- الساحات الإسماعيلية بمكناس: معرض فخم للسلطة.
- ساحات الفترة الاستعمارية: حينما يوظف العمران في ضبط الإنسان.

لكل مرحلة خصوصيتها، لعبت فيها الساحة دورا محددا في هيكلة وتنظيم المجال والمجتمع. ولا يفيد الانتقال من مرحلة إلى أخرى وجود قطيعة وظيفية للساحة، بقدر ما يعني تجسيد ممارسة جديدة في نوع من التراكم الوظيفي للساحة.

وبيان ذلك كالآتي:

الفرع الأول:ساحات مكناس الوسيطية، مركز التفاعل والاندماج الاجتماعي.

لقد توافقت ساحات هذه المرحلة مع التقسيم العمراني المتعارف عليه للمدينة القديمة؛ التي تكونت منتطاقين: محيط (هامش)مخصص للسكن، ومركز عمومي يشكل قلب الأنشطة التفاعلية والتبادلية للمجتمع الحضري (سوق، مسجد، دار الإمارة). فتواجدت الساحات ضمن هذا النطاق المركزي كرحاب تجارية بالخصوص.

وإذا علمنا أن سوق هذه المرحلة " لا تقتصر أهميته في كونه مجالا لتبادل السلع والمنافع، بل إنه يعكس التفاعل الحضري بين فئات المجتمع" (بلبشير، ع. 2010. ص 228). أدركنا دور هذه الرحاب في تحقيق الاندماج الاجتماعي. وفعلا فقد وُجدت ساكنة يهودية وأخرى برتغالية وإسبانية وأندلسية مهاجرة... اندمجت حد التماهي مع الثقافة الاجتماعية الأصيلة للمغرب عموما ومكناس خاصوصا.

وقد لعبت ساحات هذه المرحلة أدوار أخر، تستخلص من فتاوى الونشريسي التي أفادت بتنظيم احتفالات عبر سباق الخيل في بعض فراغات المدينة خلال مناسبات معينة؛فمن العادات المغربية التي حمل المعيار

تشديدا في تحريمها، احتفالهم بأعياد النصارى عبر: " إجراء الخيل والمباراة (في سباق الخيل) في يوم العنصرة[9]، لا يجوز ذلك" (الونشريسي. 1981. ج 11. ص 151). والواضح من سياق هذه الفتوى أن هذا الاحتفال كان عادة واسعة الانتشار خاصة في المدن بما فيها مكناس، حيث جاء في المعيار عنها (العنصرة) "مجانين الحاضرة يفعلونه وهو خطأ في الدين والأدب" (الونشريسي. 1981. ج 11. ص 92).لتسهم بذلك الساحة في ترسيخ القيم الثقافية للمدينة، وطبع المجال بخصوصيته القيمية المتفردة

الفرع الثاني: الساحات الإسماعيلية بمكناس، معرض فخم للسلطة.

تبين أن ساحات الحقبة الإسماعيلية كانت عديدة متنوعة، فمن حيث نوع المستعمل وجدنا ساحات خاصة بالسلطان ومقربيه وزائريه من داخل وخارج البلد، وساحات مفتوحة للعموم. وهذه الساحات بنوعها تنقسم بحسب وظيفتها إلى أنواع شتى،كلها اتخذت أدوارا هامة في تنظيم وضبط المجتمع المحلي والضاحوي للمدينة، بل وتنظيم علاقات مع خارج المغرب. بيد أن ساحات هذه المرحلة اصطبغت بغايتها السياسية العامة، المتمثلة في استنفاذ الجهد لإظهار القوة وتأكيد السلطة لتمهيد البلاد وتوحيدها.ولعرض هذه الوظائف سنقدم هذه الساحات وفق التصنيف التالي:

1- الساحات الرسمية السلطانية الإسماعيلية.لقد أورد ويندوس[10] وصفا دقيقا لساحات القصور الإسماعيلية، والذي أظهر تنوعا في أشكالها وتهيئتها، يقضي حتما بتنوع وظائفها. فواضح بيّن أن الساحات السلطانية الخالية من أي تأثيث أو تهيئة – مما وصفه لنا الكاتب الإنجليزي- وظيفتها تختلف عن تلك المزينة بخصص وسواقي، أو زخرفة وخضرة. فالأخيرة ذات جمالية عالية ومسحة راقية توافق وظيفة النزهة للسلطان وحَرَمه وزواره، فيما الأولى أقرب إلى الاستعمالات العسكرية وطقوس رسمية أخرى.

بل تأكدتالوظيفة العمرانية لهذه الساحات،المتمثلة في الفصل بين المباني وأقسام القصور السلطانية " **ثم ذهبنا مرة أخرى لزيارة قسم آخر من القصر، فمررنا على مساحة متسعة تفصلها طريق ضيقة**" (وزارة الشؤون الثقافية. 2000. ص 83).

وتوجد وظائف أخرى نفسية خفية لهذه الساحات كعنصر مكمل لفخامة العمران الإسماعيلي، تتمثل في إضفاء نوع من الهيبة واستعراض القوة في نفوس الزوار من داخل وخارج المغرب، وتثبيت السلطة وتأكيدها، باعتبار تأثير الفضاء على التمثل والإدراك. وفي سياق ذلك يصف أحد الباحثين الدور النفسي للعمارة متحدثا عن باب المنصور الإسماعيلي " هذا باب هو أكثر من فتحه في جدار أو مخرج، إنه رمز للسلطة، للخضوع، للثروة وللتحكم في المدينة" (ولد القابلة، د. 2004)

ولنتأمل الهيبة التي تضفيها الساحات في نفوس زوار السلطان الأجانب، يقول "ويندوس":" **ولمّا وصلنا لباب منصور ترجّل السفير (الإنجليزي) وسائر من كان بمعيته من الركبان، ودخلنا فمررنا على ثلاث أو أربع براحات، ثم جلسنا على دكان بالحجر. وبعد ذلك أعلمنا بخروج السلطان**" (المنوني – وزارة الشؤون الثقافية. 2000. ص 79). وإذا ما استحضرنا المرحلة السياسية الحساسة التي كانت تجتازها البلاد – مرحلة التأسيس الفعلي للدولة العلوية بعد تجزئة وصراع أواخر العصر السعدي، ومن جهة أخرى واستمرار التهديد

والتواجد الإيبيري في الثغور المغربية، وكذا التهديد العثماني شرقا – أدركنا منطقية الإقدام على هذا الأمر. ولذلك وجدنا السلطان يعمدإلى تمكين زواره الدبلوماسيين من جولة في قصور، ذلك ما أكده ويندوس قائلا: " **وبعد ذلك (انتهاء الزيارة) قدم علينا بن عطار[11]من قبل السلطان ليطلعنا على القصور السلطانية**" (المنوني – وزارة الشؤون الثقافية. 2000. ص 79- 80).

خلاصة القول فإن هذا الساحات السلطانية الخاصة، بالإضافة إلى وظيفتها الجمالية واستعمالها المعتادة لعبت دورا سيكو سياسيا مقدرا.

2- **الساحات الإسماعيلية العمومية.**

هي المفتوحة لعموم الساكنة، وقد تعدّدت وظائف هذه الساحة في تنظيم المجال، ومن ذلك نذكر:

- **دور ساحة الهديم في التنظيم العمراني للمدينة:** فقد استعملها السلطان للفصل عمرانيا بين قصبته والمدينة العتيقة (الموحديةوالمرابطية).
- **الدور العسكري التنظيمي لساحة الهديم:** لقد لعبت هذه الساحة دورا مهما في تمهيد البلاد "وقطع دابر أهل الفساد"، حيث ساعدته في "حَرَكاته"[12]ضد القبائل والزعامات المعارضة، بلوحتى في عمليات تحرير الثغور المغربية. حيث " أُعدّت هذه الساحة لاستعراض الجيوش الإسماعيلية قبل الخروج في الحملات العسكرية التي كان ينظمها السلطان ضد المعارضين أو ضد المحتلين الأجانب" (بنفايدة، م. ص 78).ومعلوم ان المولى إسماعيل جعل من مدينة مكناس "عاصمة ملكه للانطلاق بحرسه الخاص، " فرق الكيش" المكونة من 150.000 جندي لإخماد القلاقل وإخضاع القبائل المتمردة وطرد الأجانب وإيقاف الزحف التركي على شمال إفريقيا" (ولد القابلة، د. 2004).

عموما فقد هيمن على هذه المرحلة انشغال السلطان بتمهيد البلاد، ولذلك اصطبغت مراسيمه بصبغتين؛ الطابع العسكريواللمسة الاستعراضية، اللذين لا يتمّان إلا في فضاءات مفتوحة، وقد شكلت ساحة الهديم معرضها الأهم.

الفرع الثالث: ساحات الفترة الاستعمارية، حينما يوظف العمران في ضبط الإنسان.

شكّلت "حمرية" (المدينة الجديدة)أهم نسيج عمراني أحدثه الاستعمار بمكناس، بمواصفات عصرية أوروبية. والتي تضمنت – كما تبيّن-عدة ساحات. فأي دور لعبته هذه الساحات لتنظيم مجال المستوطنين وضبط الأهالي المسلمين؟

أمكننا الاستقراء التام لأدوار ساحات هذه المرحلة تقسيمها إلى نوعين هما:

1- **الأدوار مباشرة للساحة– التنظيم العمراني**

اتخذت عدة تمظهرات منها:

- **الدور العمراني:** حيث كان لها دور مهم في تنظيم التخطيط الحضري العصري، القائم على جدلية البناء والفراغ. فبه تم الفصل بين البنايات الهامة، والربط بين الشوارع المهيكلة..
- **الدور التنظيمي:** حيث ساهمت كثير من هذه الساحات في تنظيم السير داخل المدينة، خاصة

ساحة المارشال بيتان (أو ساحة دوكول) المركزية..

- **الدور البيئي**: تمكن الفضاءات المفتوحة عموما من نفاذية الهواء ومن ثم تنقية وتجديد هواء المدينة. فساحة فرنسا مثلا المفتوحة على الفضاء الطبيعي الأخضر لواد بوفكران تشكل نموذجا لذلك. وأما إن أضيفت لها مساحات خضراء "كساحة الدكتور جيكيJiguet، فينضاف لها دورها الفعال في تلطيف الجو.

2- الأدوار غير مباشرة للساحة- الضبط الاجتماعي والتأثير الثقافي.

ولعلّها الأهم في القصد الفرنسي من تأسيس حمرية عموما. فقد كان غرض فرنسا الخفي من هذه "العصرنة الحضرية" هو تقويض النموذج العمراني والقيمي الإسلامي.

إن إعادة تيهيئ المجال -أي مجال- ليس مجرد إجراءات تقنية لإنتاج الثروة المادية وصناعة الرفاه، بل هو تكريس لنمط قيمي معين. فالمجال ليس مجرد قطعة أرضية جامدة تحتضن مجموعة بشرية ما، بل يعكس نمطا قيميا وأسلوب حياة.. وأن إعادة تنظيم المجال يساهم في إعادة التشكيل البنية الاجتماعية والثقافية والعلائقية لساكنيه. فالمجال حسب الأكحل بنيته ليست سلبية بل فاعلة، فهو مصدر للحصول على الثروة ولإعادة إنتاج القيم المادية والرمزية للمجتمع، ولذلك ظل عبر التاريخ محط رهانات ومصدر صراعات .." (الأكحل، م. 2004. ص 109.).

وهذا ما عبّر عنه ليوطي نفسه في سياق حديثه عن سياسته المرنة لضبط المجال الريفي مؤكّدا أن ""أخذ ضيعة فرنسية يعادل فيلقا عسكريا، وبوجود هذه الضيعة ستغني فرنسا عن استعمال القوة" :

"Une ferme française vaut un bataillon, la ou la ferme française existait la force n'avait plus besoin de se montrer " disait Lyautey. ((Brahim ELFASSKAOUI. 2019).

وبالحديث عن الساحات فقد اتخذتها فرنسا وسيلة هامة للضبط النفسي للأهالي عبر آليتين:

- **الأولى**: إظهار جمالية العمارة الأوربية التي يشكل الفراغ العمراني مقوما أساسا فيها، في مقابل زحمة المباني العتيقة. وفي ذلكم تقويض قيمي جلي وفق مدخل خفي؛ حيث " لم تعد واجهات المساكن بروى مزيل (حي أوربي المتاخم للأهالي) كتلك الموجودة بالمدينة العتيقة، فالواجهات أصبحت تبدي زينتها للناظر على عكس واجهات المدينة القديمة التي تتميز بعدم الإفراط في التزويق" (بنفايدة. ص 139). نحن إذن بصددتوظيف العمران في استعمار الأذهان والأبدان. لقد لعبت الساحات دورا مهما في إبراز مفاتن العمارة العصرية تلك، وهل يمكن للمباني أن تتضح مفاتنها في غياب فضاء مفتوح يغازل واجهاتها؟

- **الثانية**: من خلال توظيف هذا الساحات في تأكيد وتأبيد الوجود الفرنسي في ذهن الأهالي وشرعنته، عبر وضع تماثيل لرجالاتهم في قلب هذه الساحات (مما فصلنا فيه قبل خلال الحديث عن الساحات الكولونيالية بالمدينة).

لقدت تعددت وظائف ساحات مكناس واصطبغت برهان كل مرحلة، ففي مرحلة التأسيس للمجتمع الحضري غلبت الوظيفة السوسيو اقتصادية باحتضان التفاعلات والتبادلات المادية والرمزية،ولما قادت المدينة — كعاصمة سياسية — مهمة توحيد وتمهيد البلاد ارتدت الساحة عباءة السلطة والبأس، فيما شِيءَ لساحات المدينة الكولونيالية أن تنهض بمهمة شرعنة وتأبيد الاستعمار وثقافته.

المبحث الثالث: العجز المجالي والوظيفي لساحات مكناس الحالية.

لقد أدت ندرة الساحات العمومية بالمدينة إلى حدوث ضغط شديد على الموجود منها، وأصبحت ممارسات مختلف المستعملين لها تعمل في اتجاه تدهورها وخفوت إشعاعها، مما بات يهدد وظائفها ورمزيتها. سنحاول تأكيد هذا الفرض عبر البحث الميداني، خاصة عمل الاستبيان.

المطلب الأول: أهمية الساحة عند ساكنة المدينة:

قبل بيان واقع تدبير واستعمال ساحات مكناس وفقر وظيفيتها، سنبين من خلال نتائج البحث الميداني أهمية هذه المجال العمومي الحيوي؛ فمن جهة قد عبر أغلب المستجوبين عن ضرورية وجود الساحة في المدينة (الجدول):

الجدول رقم 1: آراء الساكنة حول ضرورية الساحة

	Frequency	Valid Percent
ضروريا	366	88,6
تكميلا	41	9,9
لا فائدة منه	6	1,5
Total	413	100,0
99	7	

يتضح أن حوالي 87% من المستجوبين اعتبروا الساحة أمرا ضروريا، في حين ان التعبير عن عدمية فائدتها يبقى ضئلا.

ومن جهة أخرى فقد عبّرت أغلب الجمعيات عن تنظيمها أنشطة بساحات المدينة:

الجدول رقم 2: هل نظمت جمعيتكم نشاطا في مجال عمومي

	Frequency	Valid Percent
نعم	26	92,9

لا	2	7,1
Total	28	100,0

إن تعبير أكثير من 90% من الجمعيات عن تنظيم أنشطتها بالساحة يعكس دورها الحيوي ثقافيا وتفاعليا. والجدول التالي يبرز أن الساحة هي خير مجال لأنشطة المجتمع المدني:

الجدول رقم 3: جدول توزيع أنشطة الجمعيات على المجالات العمومية

اسم المجال	عدد الأنشطة	النسبة من مجموعة الأنشطة
ساحة	15	53.6
شارع	09	32.1
حديقة	08	28.6
منتزه	07	25
ملعب	05	17.9
موقف سيارات	04	14.3
غابة حضرية	1	3.6

لقد احتضنت الساحة وحدها أكثر من نصف ما احتضنته باقي المجالات العمومية.

المطلب الثاني: النقص الكمي في عدد الساحات.

إذا أخذنا ساحات الحي فقط كنموذج نستخلص – عبر استمارات البحث الميداني- أمرين أساسيين:

- وجود تزايد نسبي لعدد الساحات في الآونة الأخيرة كما يوضح الجدول التالي:

الجدول رقم 4: تاريخ إحداثساحة الحي

	Frequency	Valid Percent
في 10 سنوات الأخيرة	150	47,3
سنة فأكثر 20	58	18,3

لا أدري	109	34,4
Total	317	100,0
99	103	

فقد تبيّن أن ما يقارب نصف الساحات أحدث في العشر سنوات وأن ثلثي المستجوبين أحدثت ساحاتهم في العشرين سنة الأخير، وذلك راجع للتوسع العمراني الأخير الذي أحدث أحياء تراعي نوعا ما توفر هذه المجالات العمومية.

- استمرار العجز في عدد الساحات، فقد عبرت نسبة معتبرة من المستجوبين عن فقدهم لها:

الجدول رقم 5: مدى توفر ساحة الحي

	Frequency	Valid Percent
نعم	260	61,9
لا	160	38,1
Total	420	100,0

لقد عبّر أكثر من 38% عن غياب ساحة الحي القريبة من السكن. وقد دفعنا البحث عن تفسير ذلك إلى تتبع الساحات المبرمجة في آخر تصميم تهيئة (2004- 2014)، وتقييم مدى إنجازها فكانت النتيجة كالتالي:

الجدول رقم 6: تقييم إنجاز الساحات المبرمجة في تصميم التهيئة (2004– 2014)

وضعية وطبيعة الساحة	ساحات موجودة (كليا أو جزئيا)[13]	ساحات تحولت إلى مجالات أخرى[14]	ساحات غير موجودة[15]	ساحات مخصوصة[16]	المجموع
عدد الساحات	47	21	54	12	129
النسبة المئوية	36.43	16.28	41.86	9.30	100

يتضح من الجدول أن نسبة إنجاز الساحات المفتوحة للعموم أقل من 37%، وأن أكثر من 40 % لا أثر لها في الميدان، وأن نسبة معتبرة تم تحويلها إلى مجال آخر (أكثر من 16%).

المطلب الثالث: التردّي النوعي لساحات المدينة.

لا يكفي أن تتواجد فراغات داخل المدن كي تتحقق الوظيفية المطلوبة للساحة. لقد اتضح أن ساحات المدينة في أغلب الأحوال فقدت هويتها لتصبح مجرد مساحات فارغة بين اثنين من المساحات المبنية(CPCP.2016). وحسبنا في ذلك ما كشفه البحث الميداني من أنحوالي نصف المستجوبين لا يستعملون ساحات المدينة:

الجدول رقم 7: هل تجلس في ساحات المدينة؟

	Frequency	Valid Percent
نعم	207	50,4
لا	204	49,6
Total	411	100,0
99	9	

وقد أرجع وأغلب هؤلاء السبب إلعدم وجود ساحات لائقة أو قريبة:

الجدول قم 8: سبب عدم الجلوس في ساحة المدينة

	Frequency	Valid Percent
ليس لدي وقت	60	35,5
لا توجد ساحات لائقة	84	49,7
بعيدة عن السكن	15	8,9
استمتع بها عن بعد	1	,6

لا أفضل ذلك	9	5,3
Total	169	100,0
99	251	

وحتى أولئك الذين يزورون الساحات فوتيرة ترددهم عليها تكون **أحيانا**، **ولمدة قصيرة**، **ولأغراض ثانوية** (غير مقصودة)، وأن نسبة معتبرة تحس داخل الساحة **بالملل والضيق** كما توضح الجداول التالية:

جداول رقم 10: درجة ووتيرة استعمال ساحات المدينة

درجةالترددعلى ساحاتالمدينة

	Frequency	Valid Percent
يوميا	28	11,7
أسبوعيا	48	20,1
أحيانا	163	68,2
Total	239	100,0
99	181	

مدةالمكوثفي ساحات المدينة

	Frequency	Valid Percent
أقل من نصف ساعة	123	42,3
ساعة تقريبا	118	40,5
أكثر من ساعة	50	17,2

دواعي زيارة ساحة الهديم التاريخية

اقتناء أغراض	260
النزهة	191

يلاحظ أن ما يقارب نصف المستجوبين يقضي بالساحة أقل من نصف ساعة، وأن أغلب استعمالات الساحات تكون لغرض ثانوي، غير مقصودة في حدّ ذاتها.

خاتمة:

إن المجالات العمومية هي أكبر من مجرد فراغات على هامش البناء، بل إن التعمير المنسجم والمتوازن يقوم –أساسا– على جدلية الفراغ والبناء. كما أن التجمع البشري، والحضري خصوصا، له مقومات تضمن له شروط الحياة الكريمة وحاجيات الإنسان المتأصلة. من هنا تنهض أهمية المجال العمومي باعتبار أن هندسته مهيكلة للعمران، وان وظائفه تحسن إطار عيش الإنسان. ولقد أضحى التأكيد على ذلك خير مدخل لنفي الاتجاه

التدبيري الذي يعتبر حق السكن – فقط- غاية المطالب، وأحسن سبيل لمواجهة فوضى التعمير التي أضحت اليوم توجهها المصالح الخاصة والأمزجة السياسية الظرفية.

فجزء من إكراهات المجال العمومي يرتبط بمشكل المدينة ككل التي يجب أن تخضع وجوبا لوثائق التعمير. والجزء الآخر خاص بهذه المجالات، والتي لن ترتقي – بنظرنا- إلا بوضعها في قلب مشاريع ترابية خاصة بكل نسيج حضري (مدينة قديمة، منطقة عصرية، أحياء شعبية)، تنخرط فيها فعاليات المجتمع المدني خاصة جمعيات الأحياء، تخطيطا تدبيرا وتقويما، عسى أن تُصان هذه المجالات وتنتعش أنشطتها ووظيفيتها.

المراجع

- بلبشير، ع. 2010. جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6هـ إلى 9هـ/ 12- 15م من خلال كتاب (المعيار) للونشريسي. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي. جامعة وهران. الجزائر.
- بنفايدة، م. (بدون تاريخ). مكناس جولة في التاريخ والمعالم .
- تر.ع.ل.ملين. (غياب السنة) مسجد للا عودة بمكناس. مجلة دعوة الحق العدد 53. مسترجع من /http://www.habous.gov.ma
- توفيق،أحمد. 2014. تاريخالعمارةوالفنونفيالعصورالأولى. ج1. ط2. مكتبةالأنجلوالمصرية. القاهرة – مصر.
- تونيلا، س. 2019. سوسيولوجيا الفضاءات الحضرية العامة. (إ. الغزواني، المترجم). مجلة إضافات العدد 46، 147- 162.
- حيمر، ح. 2003-2004. مدينة مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث دراسة في التاريخ السياسي والعمراني. بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ. جامعة مولاي إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس .
- الخضراءالجيوسيسلمى،وآخرون، 2014،المدينةفيالعالمالإسلامي،المجلدالثاني،مركزدراساتالوحدةالعربي،الطبعةالأولى،بيروت.
- عرفان،س. 1966. نظرياتالعمارة. مؤسسةطباعةالألوانالمتحدة. القاهرة.
- عكاشة،ع. الناطور، ش. بيضون، ج. (1991). اليونان والرومان. دار الأمل للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى.
- كنكورة، م. الهندي، ح. 2020. تخطيط وتدبير المجالات العمومية بالمدن الكولونيالية بالمغرب مدينة مكناس نموذجا (مقاربة جغرافية). مجلة التخطيط العمراني والمجالي. المجلد الثاني. العدد6. المركز الديمقراطي العربي. برلين- ألمانيا.
- الهيلوش،م. 2014. إشكاليةتهيئةوتدبيرالمجالاتالعموميبالمدنالمغربية. منشوراتالملتقىالثقافيلمدينةصفرو،الدورةالخامسةوالعشرون.

- الوافي ع، ل. 2003. الساحات العامة في المدينة ما بين التصميم و الاستعمال في مدينة المسيلة. مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجيستير بجامعة محمد خيضر بسكرة.
- وزارة الشؤون الثقافية. 2000. الفقيه المنوني أبحاث مختارة (مقال دليل القصبة الإسماعيلية).
- ولد القابلة، د. 2004. مكناس، عاصمة السلطان المولى إسماعيل المشهور بأبوابها. مقال مسترجع من موقعhttps://www.diwanalarab.com
- الونشريسي أحمد بن يحيى. 1981. المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب. الأجزاء. 5 و 6 و 11. الإشراف على الإخراج محمد حجي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المملكة المغربية.

- Brahim ELFASSKAOUI. 2019. Dynamique des espaces ruraux.(Ensemble de conférences présentées à l'intention des étudiants en Master Dynamique et Aménagement des Territoires à la faculté des Lettres à Meknès).
- Centre Permanent pour la Citoyenneté et la Participation (CPCP). 2016. « l'éspace public en ville ». Bruxelles.
- Le Tourneau, Roger.1949. Fès avant le protectorat (Étude économique et sociale d'une ville de l'Occident musulman). Thèse pour le doctorat ès lettres présentée à la faculté des lettres de l'université de paris.
- Leonardo Benevolo, Histoire de la ville, Edition: Parenthèse.
- M .A-Tzimopoulou et auters . 2007. L'espace public et le rôle de la place dans la ville grecque moderne. Évolution historique et enjeux contemporains. OpenEditionJournals.

الهوامش:

[1]– ثالث سلاطين الدولة العلوية، حكم المغرب حوالي 50 سنة (1672– 1727)، واتخذ مدينة مكناس عاصمة سياسية له وقاعدته العسكرية.

[2]– ساحة الهديم التاريخية ذات الصيت العالمي، وساحة لالة عودة.

[3]– هي ساحة تجارية تاريخية في مدينة الكويت، كانت مركزاً للتبادل التجاري، حيث شكلت سوقاً مهمة للقوافل القادمة من البادية خلال القرن الماضي، التي كانت تحمل إلى سكان مدينة الكويت بضائع يحتاجونها، مثل: السمن، والأقط، وحليب الإبل، والجراد، ونبات الفقع، والصوف، ونبات العرفج، في حين كان أهل البادية يشترون التمر، والحبوب، والأقمشة. واليوم تم تأهيلها وإحاطتها بمحلات لتكون مقاهي ومطاعم ذات طابع تراثي قديم.

[4]– أي خلال العصر الوسيط (من سقوط روما 476م، إلى فتح القسطنطينية 1453م).

[5]– أي منذ فتح القسطنطينية سنة 1453 إلى الثورة الفرنسية 1789م.

[6]موقع إلكتروني رسمي تابع لوزارة الثقافة http://www.idpc.ma/

[7] وفق ما تؤكده مواقع رسمية للدولة المغربية مثل موقع : Inventaire et Documentation du Patrimoine Culturel du Marocمؤرشف بتاريخ 14 شتنبر 2019، تم الإطلاع عليه يوم 24 يناير 2021 الساعة 08:55. نفس الشيء يؤكده موقع المجلس الإقليمي للسياحة بمكناس.

[8]– جنرال فرنسي ترقى لهذا المنصب سنة 1918 بعدما كان برتبة كولونيل، هو الذي أسندت له مهمة متابعة أشغال بناء حمرية وفق ما خطّه المهندس هنري بروست. يذكر أنه شغل أيضا منصب مدير الديوان العسكري للمقيم العام ليوطي.

[9]– العنصرة: هو يوم الرابع والعشرين من يونيو أي بعد خمسين يوما من عيد الفصح، وهو يمثل عند المسيحيين ذكرى نزول الروح القدس على حواريي المسيح الإثنى عشر، ويعتقد العامة –وهما– ان لهذا العيد علاقة بالنبي يحي بن زكرياء. سمي بهذا الإسم كونه يتميز بشعلة النار التي تسمى بالعامية العنصرة (بلبشير، ع. 2010. ص 146)

[10]– في كتابه: "رحلة إلى مكناس، مقر الملك الحالي لفاس ومراكش" كتبه سنة 1721م يصف فيه مشاهداته ومعلوماته عن المغرب خلال الزيارة التي رافق فيها سفير ابريطانيا الى بلاط السلطان مولاي اسماعيل للتفاوض في قضية الاسرى الانجليز بالمغرب

[11]– من اليهود.

[12]– الحرْكة هي تنقل السلطان والجيش في جولات عبر المغرب لمعاقبة المعارضين، أو تفقد أحوال البلاد وحل بعض مشاكلها.

[13]– ساحات موجودة (كليا أو جزئيا): هناك ساحات لا توجد بكاملها كما هي في تصميم التهيئة، بل قد يتم تحويل جزء منها لاستعمال آخر.

[14]– ساحات تحولت إلى مجال عمومي آخر أو اتخذت مجالا آخر من البداية: يعني تغيرت وظيفتها أو شكلها إلى حديقة، ملعب..

[15]– ساحات غير موجودة قد تكون: – أراضي فلاحية لم يصلها التعمير المتوقع من تصميم التهيئة – قد تكون تحولت إلى بنايات سكنية أو غيرها – قد تكون أرض غير مهيأة مجهولة الهوية داخل المجال الحضري..

[16]– ساحات مخصوصة: أي لم تعد عمومية حيث أنها غير متاحة لعموم المواطنين لتملكها من طرف جهة ما.